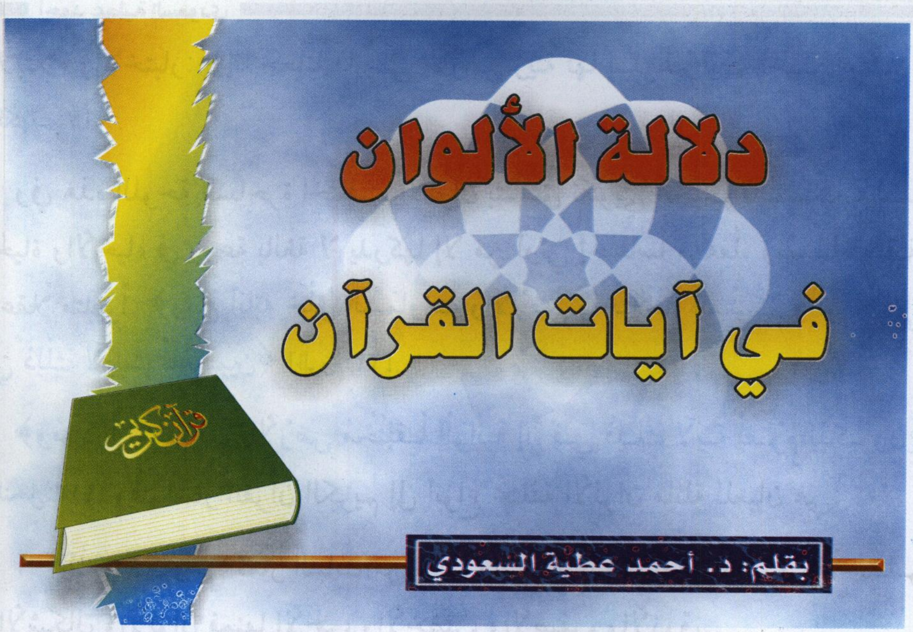

# دلالة الألوان في آيات القرآن

بقلم: د. أحمد عطية السعودي

شُغل كثير من الناس في زماننا الحاضر عن التفكر والتأمل في الملكوت الرحب المحيط بهم إحاطة السوار بالمعصم، وقصروا أنظارهم على أمتار أرضية معدودة، ومساحات محدودة، فتعلقت أبصارهم بكُرةٍ بين أقدام اللاعبين، أو خبزة بين جدران الطابخين، أو عجلة سيارة، أو شاشة تلفاز، أو سرير شهوة.

ولو تأمل أحدهم في الخلق والحياة والطبيعة لوجد أمام ناظريه لوحةً جماليةً كبرى أبدعها الخالق سبحانه أحسن إبداع، وأروع إتقان، وأعظم صُنع: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون:١٤].

براها الخالق بديعة متناسقة تهز الوجدان، وتوقظ الإحساس، وتغذي الروح، وتبعث في النفس المتعة والمسرة: ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النمل:٨٨].

وتمتاز كل جزئية في هذه اللوحة الكونية بقدرٍ باهر من الزينة التي تتخلل ذراتها، وتعطر أعطافها، ليهنأ الإنسان بجواذب الجمال في حياة وادعة قد جعلها الله تعالى

للابتلاء والاختبار: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُم أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ [الكهف:٧].

وفي هذه اللوحة الساحرة اختلفت الألوان بتناسق تكويني عجيب فانتظمت بذلك الحياة والأحياء في روعة بالغة لا يدركها إلا من أوتي إحساساً مرهفاً، ونفساً ذواقة، وعقلاً متدبراً: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الروم:٢٢].

﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ [النحل:١٣]. وقد أشار القرآن الكريم إلى أنواع مختلفة الألوان ماثلة للعيان هي:

١- الثمرات: وهي ثمار النبات من خضروات وفواكه مختلفة الطعوم والأجناس والأشكال والألوان فمنها الأحمر، والأخضر، والأصفر، والأزرق..

٢- الجبال: وهي ذات طرائق مختلفة الألوان: بيض، وحمر، وسود.

٣- الناس: وفيهم الأبيض والأسود والأحمر، وفيهم بين ذلك.

٤- الدواب: وتشمل الحيوان، وما أكثر ألوانه، وتعدد أجناسه!

٥- الأنعام: وهي الإبل والبقر والغنم التي ينتفع منها الناس، ويأكلون لحومها، ويرون اختلاف ألوانها وألبانها.

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفاً أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ * وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر:٢٧].

٦- الزرع: وهو مختلف الطعوم والروائح والمنافع والألوان من قمح وشعير وعدس.. قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً مُّخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَاماً إِنَّ فِي

ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُوْلِي الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر:٢١].

٧- العسل: وهو خلاصة رحيق الأزهار والثمار وطعومها المختلفة يخرج من النحل متنوع الألوان كالأبيض والأحمر والأصفر.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل:٦٩].

ويفهم مما سبق من الآيات الكريمة ما يلي:

- أن اختلاف الألوان ينتظم كل المخلوقات والكائنات.

- أن الماء هو العامل الأساس في تكوين الأشياء وتلوينها.

- أن ألوان البيئة تنعكس على ألوان القاطنين فيها من أناس ودواب.

- أن اختلاف الألوان آية ربانية عظمى لا يقدّرها حق قدرها إلا العلماء المؤمنون، ومَنْ يعي بعقله، ويعتبر بفؤاده.

- أن الآيات الكريمة تدعو العلماء إلى دراسة هذه الظاهرة دراسةً مُتدبرة في الجوانب الجمالية، والعلمية، والصحية، والسكانية!

ولقد قدم القرآن الكريم صوراً بديعة من الجمال في جانبيه الحسي والمعنوي تدعو إلى التفكر في شواهد قدرة الله ودلائل ربوبيته، فهي آيات ناطقة بتوحيده، ودعامات للدين الحق والشريعة السمحة(١).

وإنها لمتعة لا تعدلها متعة حين يتأمل المرء ما في الكون من دقة معجزة، وتناسق عجيب في توزيع الألوان والظلال والأضواء والكائنات في رقعة البسيطة بصورة تلفت الحس، وتستريح لها العين، وتهدأ لها النفس والأعصاب، ومن توازن دقيق في

---

(١) مجلة الفيصل، س١٢، ع١٣٨، ١٩٨٨م-١٤٠٨هـ، انظر: مقال «حديث الجمال في القرآن الكريم». د. السيد رزق الطويل، ص(٢٨-٣٠).

حركة الأرض وثباتها وتقدير الأشياء فيها تقديراً موزوناً، ومن ترابط بين الكائنات في الأصل والمصير والحياة، ومن حركة حية تبدو في كل شيء على سطح الأرض وفي الكون(١):

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَظِلالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ﴾ [الرعد:١٥]. والإستمتاع بجمال الألوان والظلال الوارفة مرتبط بالهدف الأسمى للحياة «وهو العبودية» لله الواحد وفق ما أباح وشرع من تأمل، واستمتاع بالأنعام، وتزين باللباس، وتمتع بطيبات الرزق، ونظر في عجائب النبات والحيوان:

﴿يَابَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ * قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِي لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:٣١-٣٢].

ولقد كان الرسول ﷺ يعتني بالجمال عنايةً خاصةً في بدنه وملابسه وحذائه وبيته ومسجده، ويدعو أصحابه إلى ذلك:

عن ابن مسعود ﷺ أن رسول ا لله ﷺ قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرةً من كبر. قال رجل: إن الرجل يحبُ أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً. قال إن ا لله جميل يحب الجمال. الكبر بَطَرُ الحق، وغمطُ الناس»(٢).

وكان عليه الصلاة والسلام يتزين بالملابس ذات الألوان المختلفة ومنها:

الأبيض: يستحب اللون الأبيض للّباس وتكفين الموتى وبخاصة في الجمع والمناسبات: «ألبسوا من ثيابكم البياض فإنها من خير ثيابكم، وكفنوا فيها موتاكم»(٣).

---

(١) انظر: محمّد قطب «منهج الفن الإسلامي» ط٦، دار الشروق، بيروت ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، ص(٨٥-٩٦)

(٢) رواه مسلم، في كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، المجلد الأول، الجزء الثاني ص(٨٩).

(٣) رواه أبو داود في اللباس، باب في البياض، والترمذي في كتاب الجنائز، باب ما يستحب في الأكفان رقم(٩٩٤)، وقال: حديث حسن صحيح.

الأحمر: «عن البراء بن عازب ﷺ قال: كان رسول ا لله ﷺ مربوعاً، ولقد رأيتـه في حُلّةٍ حمراء ما رأيت شيئاً قط أحسن منه»(١) .

الأخضر: «عن أبي رِمْثَةَ رفاعة التميمـي ﷺ قـال: رأيـت رسـول ا لله ﷺ وعليـه ثوبان أخضران»(٢) .

الأسود: عن جابر ﷺ: (أن رسول ا لله ﷺ: دخل يـوم فتـح مكـة وعليـه عمامـة سوداء)(٣) .

وقد اصطبغت الكائنات بالألوان الزاهية منذ بـدء الخليقـة فـرأى النـاس الأزهـار النضرة، والثمار اليانعة، والشمس الساطعة، والقمر المنير، والنجوم اللامعة، والطبيعة الملونة الرائعة، وقد استهوتهم ألوانها، فانعكست على حيـاتهم في الزخرفـة والرسـم والتطريز والعمارة والبستنة!

ولا بد قبل تناول الألوان الصريحة في القرآن مـن نبـذة يسـيرة عـن طبيعـة اللـون وأنواعه المختلفة.

يرتبط فهم اللون ارتباطاً وثيقاً بفهم الضوء، وضوء الشمس خاصـة، وهـو اللـون الأبيض الذي ينحل إلى ألوان قوس قزح كما أثبت (نيوتن) ذلك، وهي:

الأحمر، والبرتقالي، والأصفر، والأخضر، والأزرق، والنيلي، والبنفسجي.

والألوان الأولية للأصباغ هي ثلاثة:

١- الأحمر.

---

(١) رواه البخاري في باب اللباس، باب الثوب الأحمر، ورواه مسلم في فضائل النبي ﷺ، بـاب في صفـة النبي ﷺ وأنه كان أحسن الناس وجهاً.

(٢) رواه أبو داود في اللباس، باب الرخصة في اللون الأحمر، والترمذي في أبـواب الأدب، بـاب مـا جـاء في الثوب الأخضر بلفظ «بردان» رقم(٢٨١٣).

(٣) رواه مسلم، كتاب الحج، باب جواز دخول مكة بغير إحرام.

٢- الأصفر.

٣- الأزرق.

والألوان الثانوية هي التي تنتج عن خلط لونين أوليين.

وأصل الألوان التي نراها هو ضوء الشمس، والضوء من أي نوع طاقةٌ يمتصها الجسم بتركيبه الكيماوي، ويحولها إلى طاقة من نوع آخر هي الحرارة.

وطيف الشمس لا يقتصر على سبعة ألوان بل به آلاف لا تُدرك العين الفروق بينها، ولكنها تُدْرَك بالأجهزة الدقيقة، ويمكن للإنسان العادي أن يتبين فروقاً بين ألوان الطيف تبلغ به (٤٠) لوناً(١).

لقد احتفى القرآن الكريم بالألوان احتفاءً فنياً متميزاً، وخصَّ الألوان الصريحة في أكثر من عشرين موضعاً بدقة التميز وعناية الإبراز، ذلك لأنها جزءٌ هام متصل بأنشطة الحياة المختلفة، ولما لها من أثر بالغ في النفس البشرية، ولأن في تنوعها وتباينها أعظم العبر والعظات لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

وما أمتع أن نتناول الألوان التي صرح القرآن بذكرها ومجالات كل لون منها في سياق الآيات الكريمة فيما يتصل بالحياة الدنيا أو الدار الآخرة!

### أولاً: اللون الأبيض:

وهو أساس الألوان، يدل على الوضوح والنقاء والجمال، وأمّا مجالاته في آيات القرآن فهي:

١ – معرفة بدء الصيام:

لقد أباح ا لله تعالى الأكل والشرب والجماع في أي الليل شاء الصائم إلى أن يتبين

---

(١) انظر: د. أحمد زكي «في سبيل موسوعة علمية» ط٥، دار الشروق، بيروت- القاهرة (١٤١٢هـ- ١٩٩٢م)، ص(٣٩١-٣٩٩).

ضياء الصباح من سواد الليل، وعبّر عن ذلك بالخيط الأبيض من الخيط الأسود.

وكان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في رجليه الخيط الأبيض والخيط الأسود. فلا يزال يأكل حتى يتبين له رؤيتهما، فأنزل ا لله بعد ﴿من الفجر﴾ فعلموا أنما يعني الليل والنهار(١). قال الشريف الرضي: وهذه استعارة عجيبة والمراد بها بياض الصبح وسواد الليل، والخيطان ههنا مجاز(٢)، وإنما شبههما بذلك لأن بياض الصبح يكون في أول طلوعه مشرقاً خافياً، ويكون سواد الليل منقضياً مولياً، فهما جميعاً ضعيفان إلا أن هذا يزداد انتشاراً، وهذا يزداد استسراراً(٣).

قال تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّواْ الصِّيَامَ إِلَى الَّليْلِ﴾ [البقرة:١٨٧].

## ٢- عينا سيدنا يعقوب عليه السلام:

ورد في سورة يوسف أن سيدنا يعقوب عليه السلام فقد بصره من شدة حزنه وحسرته على يوسف وأخيه، ولذلك ابيضت عيناه. ولعل بياض عينيه تَأتّى من تكون السائل الأبيض فيهما، وهو أخطر من السائل الأزرق(٤)، ولكن ا لله برحمته وقدرته أعاده بصيراً.

قال تعالى: ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَأَسَفَا عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [يوسف:٨٤].

---

(١) انظر: «مختصر ابن كثير» اختصار محمّد علي الصابوني، دار الفكر- بيروت، (١/ ١٦٥).

(٢) بين المحققون من العلماء أنّه -أي تقسيم الكلام إلى حقيقة المجاز- إصطلاح حادث بعد انقضاء القرون المفضلة، لم يتكلم به أحد من الصحابة، ولا التابعين لهم بإحسان، ولا أحد من الأئمة المشهورين كالأئمة الأربعة وأمثالهم، بل ولا تكلم أئمة اللغة. كالخليل وسيبويه ونحوهما ولم ينقل أحد عن العرب تقسيم الكلام إلى حقيقة ومجاز، وأول من عرف بهذا التقسيم من المتأخرين المعتزلة وغيرهم من أهل الكلام، ومن سلك طريقتهم في ذلك ومنهم الشريف الرضي [المجلة].

(٣) انظر: محمّد علي الصابوني، «صفوة التفاسير»، دار الفكر- بيروت، (١/ ١٢٣).

(٤) انظر: د.أحمد زكي، «في سبيل موسوعة علمية» ص(٣٠٤-٣٠٥).

واللون الأبيض في العين مزعج للنفس، منفّر للسرور لأنه نذير العمى التام، وشاهد ذلك من الحديث الشريف: (روي أن امرأة يُقال لها أم أيمن جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: إن زوجي يدعوك. قال: ومن هو؟ أهو الذي بعينه بياض؟ ! قالت: وا لله ما بعينه بياض. قال: إن بعينه بياضاً! فقالت: لا وا لله. فقال ﷺ: ما مِن أحد إلا وبعينه بياض) !!

## ٣- يد سيدنا موسى عليه السلام:

أمر ا لله سبحانه موسى عليه السلام أن يُدخل يده في جيبه فخرجت بيضاء لامعة كالمصباح المنير من غير أذى أو عيب، فكانت إحدى الآيات التي أرسل بها إلى فرعون وملائه.

واللون الأبيض في يد موسى قوة هائلة، وآية باهرة بما فيه من الوضاءة والتلألؤ:

قال تعالى: ﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ [طه: ٢٢].

-﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ [النمل: ١٢].

-﴿اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ [القصص: ٣٢].

-﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٠٨].

-﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾ [الشعراء: ٣٣].

## ٤- جبال الأرض:

وصفت الجبال بأنها مختلفة الألوان، وتصدر اللون الأبيض تلك الألوان، ونجد كثيراً من الجبال البيضاء في صخورها وتربتها وخطوطها وطرائقها تُشع الضياء من قممها، وتثبت الأرض بجذورها المتينة: ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ [فاطر: ٢٧].

## ٥- وجوه المؤمنين يوم القيامة:

في هذا اليوم العصيب تتلوّن وجوه الخلائق بلونين: الأبيض والأسود. فمن تلوّن وجهه باللون الأبيض فرح ونجا وفاز وكان من أهل جنة النعيم.

واللون الأبيض في وجوه المؤمنين علامة الإشراق والصفاء والسرور والإنبساط والبعد عن الضيق والحزن والخوف، فهي وجوه مُسفرة راضية ناضرة: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٦-١٠٧].

## ٦- كأس أهل الجنة:

ووجوه أهل الجنة البيضاء المشرقة تنعم في نعيم مقيم من التفكه والتلذذ، ومن ذلك كأس خمر شديدة البياض يطوف عليهم بها الغلمان المخلدون، ليس فيها أضرار ولا أكدار، بل لذة وإمتاع. وبياض هذه الخمرة يُلذّذ أهل الجنة نظراً وشرباً، فهو مثير للشهوة، حبيبُ إلى النفس، شهي الطعم، عَبِقُ الرائحة!

﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ * بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ * لاَ فِيهَا غَوْلٌ وَلاَ هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ [الصافات: ٤٥-٤٧] وبين أيديهم الحور العين ذوات الجمال الباهر، والحسن الساحر، والبياض الناصع الجذاب: ﴿وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ * كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الصافات: ٤٨-٤٩].

## ثانيا- اللون الأسود:

وهو لونٌ قاتم دالٌّ على الظلمة والجهل والكآبة والإستياء، ويُعبّر به عن الحالات الآتية:

### ١- معرفة بدء الصيام:

وقد مرّ في ذلك حديثنا عن اللون الأبيض في آيات إباحة الأكل والشرب والجماع للصائم في أي الليل شاء، وقد جُعل الخيط الأسود دليلاً على الليل. وسواد الليل موحش غير مؤنس، تستتر تحت جُنحه الدواب والهوام والجان واللصوص والمجرمون، ولذا فهو غير محبب للنفس، ولا مريح للأعصاب!

**قال تعالى:** ﴿وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٧٨].

### ٢- جبال الأرض:

ومن الجبال أصناف مُلوّنة بالسواد ربما بفعل البراكين والعوامل الجوية، وهي بالطبع آية ربانية تستلفت أنظار علماء الجغرافيا والبيئة والأدباء والمهتمين بالجمال، ونجد هذا الطابع الأسود في جبال مكة المكرمة وغيرها، كما نجد منها ما هو أشد سواداً، وهو ما يطلق عليه الغِرْبيب وجمعه غرابيب(١):

﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ [فاطر: ٢٧].

### ٣- وجوه المبشرين بالإناث:

وهؤلاء من كفار قريش وغيرهم إذا أُخبروا بولادة بنت لأحدهم إزدادوا غماً وحزناً، فظهر ذلك على صفحات وجهه وقسماته، فهو مُغبّر كدر مقطّب الجبين مكفهرّ الوجه، فكأنه قد اكتسى بغمامة سوداء لا تبرح مكانها إلاّ بدفن هذه المولودة حية في التراب خوفَ الفقر والعار! والعجب أنهم ينسبون البنات لله وهم الذين يأنفون منهن! والعجب أيضاً أنك تجد بعض المسلمين يسوّد وجهه حين يُرْزق بالأنثى، فربما

---

(١) انظر: «المعجم الوسيط»، د. إبراهيم أنيس ورفاقه، ط٢، مادة «غرب» ص (٦٤٨).

لذلك طلّق أمّها، وربما أصيب بأمراض نفسية من أمراض عصرنا الحاضر!

- ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [النحل: ٥٨].
- ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلاً ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [الزخرف: ١٧].

### ٤- وجوه الكافرين يوم القيامة:

إنّ وجوه هؤلاء الكافرين والمشركين والمنافقين تعكس ما في قلوبهم من كفر مظلم ونفاق حاقد، وجرائم بشعة، فلا سبيل إلى إشراقها، وهم يعانون من هول الحشر وكآبة المنقلب في نار جهنم، فهي لذلك خاشعة عاملة ناصبة ترهقها قترة:

﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٦].

## ثالثاً- اللون الأحمر:

ورد صريحاً مرة واحدة في مجال الجبال.

يشكل اللون الأحمر جمالاً أخّاذاً في تلوين الجبال الشاهقة، وإمتاع أنظار المتأملين في صفحة الكون العجيب، ومَنْ يطّلع على ما توصل إليه العلماء في علم الجبال يجد عظمة الخالق التي تتجلى في كل ذرة في الوجود.

وما أعجب تلك اللفتة الكونية من اللفتات الدالة على مصدر هذا القرآن، تبدأ بإنزال الماء من السماء، وإخراج الثمرات المختلفات الألوان، ثم تنتقل إلى ألوان الجبال، ففي ألوان الصخور شبه عجيب بألوان الثمار وتنوعها وتعددها، واللفتة إلى ألوان الصخور وتنوعها داخل اللون الواحد تهزُّ القلب هزاً، وتوقظ فيه حاسة الذوق الجمالي العالي بما يستحق النظر والالتفات(١).

---

(١) انظر: سيد قطب، «في ظلال القرآن»، ط١٧، دار الشروق -القاهرة- بيروت، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م، (٥/ ٢٩٤٢).

قال تعالى: ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ [فاطر:٢٧].

## رابعاً- اللون الأخضر:

وهو لون طبيعي ماتع دال على الخصب والنماء في دنيا البشر، وعلى السعادة والهناء في الآخرة، وهو امتداد للخير العميم في مجالات كثيرة:

### ١- وجه الأرض:

بعد أن تكون الأرض يابسة هامدة شاحبة ينزل ا لله عز شأنه الماء من السماء فتنتعش وتهتز، وتنبت من كل زوج بهيج، فيكتسي وجهها بحلة قشيبة خضراء ينتفع منها الناس والدواب والأنعام:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [الحج: ٦٣].

### ٢- نبات الأرض وشجرها:

ومن نعم ا لله ودلائل قدرته وحكمته أن يُخرج من ماء السماء النبات والشجر ويلوّنه باللون الأخضر رمز الحياة والبركة، ويجعله مختلف الأشكال والطعوم والروائح! فيخرج الزرع والنخل وجنّات الأعناب والزيتون والرمّان:

-﴿وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبّاً مُّتَرَاكِباً وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُواْ إِلِى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ٩٩].

-﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا أَنتُم مِّنْه تُوقِدُونَ﴾ [يس: ٨٠].

## ٣- السنابل في رؤيا الملك:

وهو ملك مصر الذي سجن يوسف عليه السلام في عهده، رأى سبع بقرات هزيلات يبتلعن سبع بقرات سمان، وسبع سنابل يابسة يأكلن سبع سنابل خضر يانعة! ولم يستطع أحدٌ من رجاله وأصحابه أن يفسر له رؤياه، وفسرها يوسف عليه السلام، فكانت السنابل الخضر رمزاً لسبع سنين من الرخاء والنماء:

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَأَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾ [يوسف: ٤٣]. (تدبر الآيات: ٤٤-٤٩).

## ٤- ثياب أهل الجنة:

إنها ثياب ربّانية الصّنع في غاية الجودة والحسن والجمال والزّينة يرفل بها أهل الجنة، وهي على نوعين: السندس والإستبرق. أما لونُها الزاهي فهو الأخضر الذي يُمتع أعينهم، ويزيدها لذة وسروراً، وفي أيديهم أساور الذهب والفضة واللؤلؤ، ومن تحت غرفهم تجري أنهار النعيم!

-﴿أُوْلَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَاباً خُضْراً مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقاً﴾ [الكهف: ٣١].

- ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً * إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُوراً﴾ [الإنسان: ٢١-٢٢].

## ٥- فرش الاتكاء في الجنة:

ومن صور تنعم أهل الجنة أنهم يتكئون على فرش ووسائد خضراء اللون، رائعة الحسن، محلاة ببدائع الزخارف والزينة:

﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ * فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾

[الرحمن: ٧٦-٧٧].

## خامساً- اللون الأصفر:

وهو أحد الألوان الأولية، له مساحة واسعة في حياة الإنسان، ومظاهرها المختلفة، ولكنه عادة ما يدل على الذبول والشحوب والهزال، وتصرّم الحياة البهيجة، كما يدل على الأهوال والرعب وقسوة المعاناة.

ولهذا اللون حضور في آيات القرآن في مجالات ثلاثة:

### ١- نبات الأرض:

تتعاقب الألوان على نبات الأرض لحكمة عليا أرادها الخالق جلّت قدرته أظهرتها آيات القرآن الكريم، وهي أخذ العبرة والعظة بالتأمل والتفكّر:

فهذا الماء الذي ينزل من السماء ويُخرج النبات الأخضر النضر الذي يُعجب الناظرين، ويستولي على أفئدتهم بحبه ورونقه، لا يلبث أن تزول نضارته بعد اخضرار، وتسوء حاله بعد حُسنٍ، ويتحطم ويجفّ، ويغدو هشيماً تذروه الرياح، قد تلون بالإصفرار، وغربت شمسُ هنائه ومسرّته، وكذلك هي الدنيا فإنها إلى زوال، ومن المحال دوام الحال:

- ﴿اعْلَمُواْ أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلاَدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾

[الحديد: ٢٠].

- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً مُّخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَاماً إِنَّ فِي ذَلِكَ

لَذِكْرَى لأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٢١].

-﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحاً فَرَأَوْهُ مُصْفَرّاً لَّظَلُّواْ مِن بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ﴾ [الروم: ٥١].

## ٢- بقرة بني إسرائيل:

لّما تخاصم بنو إسرائيل وتدافعوا بالتّهم بشأن أحد قتلاهم، أتوا موسى عليه السلام فأمرهم أن يذبحوا بقرة، فذبحوها بعد جدال عريض، ومراوغة قبيحة خوف العار والفضيحة! فأحيا ا لله سبحانه القتيل وأخبر عن قاتله⁽¹⁾.

وقد كانت محنتهم لما شددوا على أنفسهم في لونها الأصفر، وهو قليل نادر حتى كلفهم ذلك أن اشتروها بملء جلدها ذهباً، ولو لم يعترضوا لأجزات عنهم أدنى بقرة!

ورغم عثورهم عليها بهذا اللون إلا أنهم تمادوا في العناد واللجاجة:

﴿قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾ [البقرة: ٦٩].

ولما بين لهم أنها صفراء اللون شديدة الصفرة لم يقفوا عند هذا الحد بل تمادوا في الاعتراض، فشدد ا لله عليهم، ثم هداهم إليها ﴿ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ﴾ [البقرة: ٧١].

واللون الأصفر في البقر يبعث البهجة السرور في أعين الناظرين، وهو يضفي عليها مسحة جمالية أظهرتها الآية الكريمة: ﴿تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾.

## ٣- شرر جهنم:

رسم القرآن الكريم صورة مروّعة لشرر جهنم مستقر الكفرة والمجرمين، فالشرارة الواحدة كالقصر العظيم في الضخامة، وهي في سرعة حركتها ولونها كالإبل الصّفر،

---

(١) انظر القصة كاملة في مختصر ابن كثير، (١/ ٧٦-٧٧).

وهذا التشبيه من روائع صور التشبيه، لأن الشرارة إذا كانت مثل القصر الضخم، فكيف تكون حال تلك النار الملتهبة؟! أجارنا من نار جهنم بفضله ورحمته[1].

-﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ * كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات: ٣٢-٣٤].

## سادساً- اللون الأزرق:

لو ساءلت بعض الذين يختمون القرآن مرة في الشهر، ولا يتدبرون ما فيه: هل ورد اللون الأزرق في إحدى آياته؛ لأجابوا واثقين: كلا! وعندما تؤكد لهم وروده يتعجبون ويستغربون!!

واللون الأزرق أحد الألوان الأولية الثلاثة المعروفة، وزرقة البحار والسماء لا تخفى على ناظر، ولهذا فهو يُشكل مساحة كبيرة في الامتداد الطبيعي لمناظر الدنيا الفسيحة! ولكنه في موازين الدار الآخرة يصبح علامة دالة على المجرمين، يلوّن عيونهم، ويشوّه خلقتهم، ويتحد مع اللون الأسود الذي يوشّح وجوههم في إبراز هويتهم على رؤوس الأشهاد، حيث يعرفون بسيماهم، بعد أن كانوا ينعمون في الدنيا بالألوان الزاهية في أبدانهم وملابسهم ومزارعهم وعماراتهم ودوابهم! وقد انقضت دنياهم كأنها ساعة من النهار أو يوم أو عشرة أيام كما يزعمون وهم في أهوال الحشر:

﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقاً * يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ عَشْراً * نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ يَوْماً﴾ [طه: ١٠٢-١٠٤].

وبعد هذه الجولة الممتعة في الظلال الوارفة لآي الذكر الحكيم يمكننا أن نُقرر

---

(١) «صفوة التفاسير»، (٣/ ٥٠٣).

النتائج التالية فيما يتعلق بالألوان الصريحة الواردة آنفاً:

١- شمول الألوان لأوجه حياة الإنسان كافة في الدنيا والآخرة:

أ- جسم الإنسان: اليد، العين، الوجه.

ب- العبادة: الصيام.

ج- الأحلام: لون السنابل في رؤيا الملك.

د- النبات: الأخضر- الأصفر. (الزرع).

هـ- الحيوان: بقرة بني إسرائيل- الإبل الصّفر.

و- الأرض: وجه الأرض- جبالها.

ز- الجنة: الكأس- الثّياب- الفرش (رفرف).

ح- النّار: الشّرر.

٢- ارتباط عبادة الصيام باللون:

وذلك لتمييز بدء الصيام ونهايته باللونين الأبيض والأسود.

٣- اعتماد برهان بعض المعجزات على اللون:

اللون الأبيض في معجزة يد موسى عليه السلام.

٤- إضفاء الألوان على الطبيعة لوظيفة الإمتاع والابتهاج:

الخضرة في وجه الأرض- وألوان جبالها ونباتها وحيوانها.

٥- الرمز باللون إلى الحرف والمهن:

اللون الأخضر في رؤيا ملك مصر رمز إلى الزراعة.

٦- تعبير النفس عن حالتها بإفراز الألوان على الأعضاء والجوارح.

أ- حالة الهناء والسرور.

اللون الأبيض على وجوه المؤمنين يوم القيامة.

ب- حالة الحزن والكمد والغيظ.

- اللون الأسود على وجوه المبشرين بالإناث- وعلى وجوه الكفار يوم القيامة.
- اللون الأبيض في عيني سيدنا يعقوب عليه السلام.
- اللون الأزرق في عيون المجرمين في المحشر.

٧- استخدام اللون للإنذار والتخويف من عذاب ا لله والتشبّه بالكفار والمجرمين:

- اللون الأصفر في شرر جهنم.
- اللون الأسود في وجوه الكافرين.
- اللون الأزرق في عيون المجرمين.

٨- استخدام اللون لإثارة المؤمنين للتطلع إلى نعيم الجنة:

- اللون الأبيض- كأس أهل الجنة.
- اللون الأخضر- ثياب أهل الجنة -وفرشها.

٩- الكشف عن تعلّق النفس البشرية باللون:

﴿أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ﴾. ﴿تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾.

١٠- ضرب المثل بالألوان للاعتبار بتعاقبها وتغيّرها:

مثل الحياة الدنيا في مسرّتها ثم زوالها كمثل الزرع الأخضر النضر المتحوّل إلى الاصفرار ثم التلاشي.

﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ....﴾ [الحديد: ٢٠].

هذا وبا لله التوفيق، ومنه العون والسداد.